خطط القاهرة بعد عام ٣٥٩ هـ

أشرنا في العدد الماضي من الزهراء (ص٥٤٣ ـ ٥٤٤) الى البحث التاريخي الذي عُني به الاستاذ مصطفى منير أدهم بك منذ سبعة عشر عاما لتعيين خطط القاهرة منذ انشأها جوهر القائد للمعزّ الفاطمي (٣٥٩ هـ) وقلنا انه وضع لذلك خريطة تمثل خطط هذه العاصمة العربية أحسن تمثيل

وقد خطب الاستاذ في المؤتمر الجغرافي مبينا الطريقة التي اتبعها في عمله هذا فقال : لما أتممتُ وضع الاسماء التاريخية لشوارع القاهرة وعرضت النتيجة على جلالة الملك أمرني بوضع ذلك على خريطة ، فاخترتُ خريطة الحملة الفرنسوية ، وأثبتُّ عليها ما أقره العلامة تقي الدين احمد بن عبد القادر المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ وحذفت منها ما لم يذكره

ومما ساعدني في عملي النقط الثابتة وهي الآثار الباقية الى الآن ، كالمساجد والحمامات . مثال ذلك انني تمكنت من تحديد (بركة الفيل) بجامع قوصون وجامع بشتك والجسر الاعظم الذي هو جامع مراسينة الآن وقصر بكتمر المعروف بالحوض المرصود في وقتنا هذا . وهكذا حددتُ مواقع البرك الاخرى والبساتين والخلجان والشوارع والحارات وغيرها بعد الاطلاع على ما أورده التقي المقريزي والوزير علي مبارك باشا في خططهما

وأمر آخر ساعدني على تعيين مواقع البرك والبساتين والميادين بالضبط ، وهو أعمال الجس التي اجرتها مصلحة التنظيم قبل سنتين في غير موضع من القاهرة ، فكنت أستدل على البركة بما كان يظهر بالجس من آثار اتربة الردم ، وعلى البساتين بما كان يخرج من باطنها من الطمي ، وهكذا

***

كان يخترق القاهرة ستة شوارع رئيسية : ثلاثة من الشرق الى الغرب ، ومثلها من الشمال الى الجنوب . أهمها الشارع الممتد من باب الفتوح الى مشهد السيدة نفيسة ، وكان على جانبيه اثنا عشر ألف دكان ، وأهم أسواقه واقعة بين باب زويلة وبابى النصر والفتوح ، أشهرها السوق الواقعة أمام جامع المؤيد وكان الاطباء يجلسون فيها لمداواة من أصيب بجرح أو كسر . ثم (سوق الشرابيشيين) وكان يصنع فيها الشربوش الذى يلبسه الامراء على رءوسهم . وهو أصفر اللون ذو ثلاثة سطوح . ثم (سوق حارة برجوان) ، وقد أطنب المقريزى في مدحها ، وعلمت بعد البحث أن داره كانت على مقربة من تلك السوق

وكان يمر في المدينة خمسة خلجان كلها من الجنوب الى الشمال ما عدا (خليج فم الخور) و (خليج الذكر) فانهما كانا يمران من الغرب الى الشرق . وأشهر هذه الخلجان (الخليج الكبير) الذى حفره سيدنا (عمرو بن العاص) لما فتح مصر في صدر الاسلام واستغرق حفره ستة أشهر ، وكان الغرض منه تسهيل حمل المؤونة من مصر الى الحجاز

وكان فى القاهرة عدة برك ، وسبب حدوثها أن العرب لما أخذوا فى بناء عمارتهم تعذر قطع الحجر ونقله من تلال المقطم ، فكانوا يصنعون الطوب (الآجر) من التراب فاذا اتسعت في الارض حفرة جعلوها بركة ووصلوها بخلجان صغيرة أو قراطين تحت الشوارع حتى تتحد بالخلجان الكبيرة

والتلال التى نراها في شرقي القاهرة حتى سفوح المقطم ليست تلالا طبيعية ، ولكنها تخلفت من اتربة العمارات ، وقصور الخلفاء الفاطميين ، ومن انقاض الاحياء التي كانت تهدم برمتها فتحمل اتربتها الى ماوراء سور القاهرة الشرقى وذلك كحي المنصورية الذي أزاله السلطان صلاح الايوبي ، وحي حارة الحسينية الذي ابتلاه

الله بحشرة اوهت اخشابه فسقطت مبانيه كلها دفعة واحدة

***

أما قاهرة المعز التي أنشأها جوهر القائد عام ٣٥٩ فكانت عبارة عن الجزء المحاط بالسور ، وقد أشير اليه في الخريطة . وكان لها بابان في الشمال هما (باب النصر) و(باب الفتوح) وبابان في الغرب هما (باب القنطرة) و (باب سعادة) ، وباب في الجنوب ذو قوسين هو (باب زويلة) . وقد تلاشى هذا السور ولم يبق منه شيء . وفي القرن الخامس أنشأ بدر الجمالي سوراً آخر حول سور جوهر المذكور ، وأدخل فيه مسجد الحاكم من جهة الشمال وحارة الروم ومخازن غلال الفاطميين من جهة الجنوب ، واضطر ان يجعل باب هذه المخازن من خارج المدينة وهو باب الفرج ، وجعل في هذا السور أبوابا وهي (باب النصر) و (باب الفتوح) في الشمال وهما الباقيان الى اليوم ، و (باب القنطرة) و (باب الخوخة) و (باب سعادة) و (باب الفرج) في الغرب ، و (باب زويلة) في الجنوب وقد جعله ذا قوس واحدة . وطلب سكان القاهرة أن تفتح لهم في السور فتحات توصلهم من داخل سور جوهر القائد الى الزيادة التي أدخلها على المدينة بدر الجمالي ففتحت لهم الفتحات المعروفة بالخوخات ، وقد أشير اليها في الخريطة

ثم جاء السلطان صلاح الدين الايوبي في القرن السادس وبنى السور بالحجر — وقد أشير اليه في الخريطة — وأراد ان يحيط به القاهرة والفسطاط معا ، لكنه انتقل الى رحمة الله قبل ان يتمه

وكان الاعتناء عظيما بنظافة شوارع القاهرة ، وحفظ متنزهاتها ، وانارتها ليلا ، ووضع ازيار الماء أمام الحوانيت لاطفاء الحريق عند ظهوره